أوراق إستراتيجية

شرق الشرق الأوسط

منظمة شانغهاي للتعاون وتأثيرها على الأمن الأمريكي

مركز الدراسات الدفاعية، الولايات المتحدة الأمريكية – 21 كانون الأول 2007

الحرب على أفغانستان حولت التوجه الأمريكي العالمي نحو منطقة الشرق. فالولايات المتحدة التي كانت تركز سابقاً على الشرق الأوسط قامت بتعديل أنظمة سياستها الخارجية لتشمل مصالح شرق الشرق الأوسط. مثل هذا التحول أتى متأخراً. يتمتع وسط آسيا وبنحوٍ متزايد بالاهتمام على مستوى الأمن الإقليمي واستطاعت كل من روسيا والصين من تأسيس روابط سياسية متينة. فالاتفاقات والتعاون الناتج عن هذه الروابط يدفع بالأهداف الإقليمية لكل من روسيا والصين إلى الأمام. مؤسسة شانغهاي للتعاون (SCO) تشكلت بدايةً من خمس دول أسيوية ووسط آسيوية على أساس اعتماد برنامج اقتصادي، اجتماعي وسياسي مشترك فيما بينها، هذا في الظاهر. أما في الحقيقة فإن الـــ SCO وُجدت من أجل التقدم بالمصالح الصينية والروسية.

وبالرغم من أن الـ SCO ليست موجهة ضد أية قوة معينة، فإن المؤسسة تدعو ولأسباب كثيرة للقلق العالمي. فإن طلب الانضمام مـــن بلدان مثل إيران، باكستان، والهند تتجاوز كون الـ SCO مجرد رابطة سياسية واقتصادية لتصبح قوة إقليمية تستأهل المراقبة. غالباً مـــا تصطدم سياسات وأجندة الـ SCO مع تلك المعتمدة من قبل الولايات المتحدة منتجةً علاقة عدائية بين الولايات المتحدة والـ SCO.

تقف الـ SCO في وجه أهداف السياسة الأمريكية فيما يختص بحليفتها تايوان، وسياسة الـــدفاع الصـــاروخي، والحـــرب القائمـــة في أفغانستان. بينما هذه الإعتبارات بالكاد تكون شاملة، ولكنها تظهر بعض الهواجس الأمريكية الأساسية فيما يتعلق بالـ SCO.

تايوان

إن هاجس الصين حول الاتحاد في وجه استقلال تايوان القوي، مضافاً إليه التحالف الأمريكي–التايواني يخلق تخوفاً أمنياً سياسياً–عسكرياً. فلو أن الأمر يشتمل على الولايات المتحدة، الصين وتايوان فقط لكانت المسألة في غاية الحساسية. ولكن دعم لـ SCO القوي لسياسة "الصين الموحدة" يخلق شريك مباشر للصين فيما لو أرادت التحرك ضد تايوان. إن هذا الدعم يفاقم المســـألة ويزيـــد مـــن التـــداعيات الجيوسياسية بتبعها.

لقد قامت الصين مراراً وتكراراً بتهديد تايوان برد فعل عسكري فيما لو أعلنت انفصالها عن الصين. وبما أن تايوان والولايات المتحدة الأمريكية حليفان سياسيان، فإن أي عمل عسكري تقوم به الصين ضد تايوان سوف يكون له تأثيره على الولايات المتحدة.

إن وثيقة دوشنبي، بيان تم إصداره بعد اجتماع دول شانغهاي الخمس ومؤسس لبنية الـ SCO عام 2000، تحمل كلمات دقيقة وواضحة بشأن تقديم دعم رسمي لجمهورية الصين الشعبية فيما يتعلق بمبدأ "الصين الموحدة". كون الولايات المتحدة حليف لتايوان، يمكن أن يجرها ذلك إلى حرب مع الصين ولاحقاً مع روسيا، كزخستان، كرجستان، طاجيكستان، الهند، باكستان، وإيران.
ولكنه من غير المحتمل أن تدخل الولايات المتحدة وروسيا أو الهند في حرب مع بعضها البعض بسبب احتلال الصين لتايوان. فإن حجم مثل هذه الحرب والأذى الذي سوف تلحقه بكل فريق سوف يخلق وضعاً تزيد فيه الخسائر على الأرباح. ولكن هذا الاحتمال لا زال وارداً، واستعداد الـ SCO لمساندة جمهورية الصين الشعبية يخلق الأرضية لمثل هذه الحرب.

الدفاع الصاروخي

أنظمة الدفاع الصاروخي هو مبدأ آخر مطروح في برنامج الـ SCO وسبب للصراع العالمي. إن الولايات المتحدة تسعى لامتلاك نظام صواريخ دفاعي مميز. ففي تقدير الميزانية المالية لوكالة الدفاع الصاروخي (MDA) لعام 2007، يوجد حاجة لـ 9.3 مليار دولار.
حالياً تتضمن أنظمة الدفاع الصاروخي للولايات المتحدة:

- نظام دفاعي صاروخي داعم ذات قاعدة بحرية
- دفاع أرضي متوسط المدى
- منطقة دفاع للإرتفاعات العالية
- نظام دفاع صاروخي من نوع باتريوت ذات قدرات متطورة (PAC)-3
- نظام دفاع جوي متوسط المدى
- ليزر جوي (ABL)
- معترض طاقة ناشط

بالإضافة إلى التقنيات المذكورة أعلاه، فإن وكالة الدفاع الصاروخي تخطط للتوسيع من أنظمتها الدفاعية الصاروخية لتشمل أنظمة فضائية. من خلال استحداث آلات دفاع صاروخية فضائية فإن الولايات المتحدة تشكل بذلك سابقة خطيرة فيما يختص بالتسلح الفضائي بينما تقوم في نفس الوقت بالتوسيع من سياسة الدفاع الصاروخي الذي لديها والذي هو في الأصل مهم.

الدفاع الصاروخي للـ SCO والأمن العالمي

إن التداعيات الأمنية العالمية والتي تنبثق من رفض الـ SCO الشديد لنظام الدفاع الصاروخي هي جداً واضحة. فالقوتين المسيطرتين داخل الـ SCO: روسيا والصين، لديهما مصالح استراتيجية واضحة في منع إنشاء أنظمة دفاع صاروخية. إن الصين ونتيجة حالة الارتياب التي تعيشها تجاه أي موقف دفاعي متزايد لدى تايوان (كان فعالاً أو غير فعال) و مشاعر الانفصال الواهمة التي يمكن أن تتثبت لديها، فإنها تعارض أي نظام دفاع صاروخي باليستي.

في الوقت نفسه، فإن روسيا ترى تهديداً مباشراً من أية أنظمة دفاع صاروخية مجاورة، وخصوصاً في الدول الروسية سابقاً.مثل هذه الأنظمة تقضي على تأثير روسيا على المستوى النظري ومع إنشاء قواعد عسكرية تابعة للولايات المتحدة فإنها تشكل تهديداً لها على المستوى الواقعي.

ففيما لو رأت الولايات المتحدة الأمريكية بأنه يمكن أن تتقدم بمصالحها الاستراتيجية من خلال تقوية نظام الدفاع الصاروخي لديها ومن خلال نقل هذه التكنولوجيا إلى شركائها، فإنها بذلك تصبح في مواجهة مباشرة مع الـSCO. كما تم ذكره آنفاً، في حال أي تصادم أو تعارض عسكري مع دولة تابعة للـ SCO فإن على الولايات المتحدة أن تتوقع مواجهة تحالف سياسي وربما عسكري من دول الـ SCO.

أفغانستان

كل من الـ SCO والولايات المتحدة لديه مصالح راسخة في أن يسود الاستقرار أفغانستان. إن القرب الجغرافي والروابط التاريخية والتداخل الثقافي يربط أفغانستان بدول آسيا وآسيا الوسطى. مع وجود إيران وباكستان كمراقبين فإن الـ SCO تشكل طوق حول أفغانستان، باعتبار أن تركمنستان هي الدول الحدودية الوحيدة غير المنتمية للـSCO. إن الحرب الممتدة في أفغانستان وجهود طالبان لاستعادة السيطرة يتم استخدامها لتبرير المصالح الأمريكية هناك، ما يخلق لديها حاجة لوجود شركاء متعاونين في المنطقة ووجود قوي للولايات المتحدة في وسط آسيا.

ولكن الولايات المتحدة والـ SCO لديهما رؤى متضاربة حول أفغانستان كما أن إيجاد شركاء متعاونين في المنطقة أصبحت مسألة نادرة. بينما كلاً من الفريقين يرغب في الاستقرار، فإن الـ SCO ترى في وجود الولايات المتحدة عاملاً يزيد الوضع سوءً. في المقابل، ترى الولايات المتحدة أن الانسحاب المبكر هو إعادة إحياء للقوى التي سعت القضاء عليها.

إن الـ SCO واضحة فيما يختص بتواجد الجيوش الأمريكية في وسط آسيا ولذا فهي تطالب بتحديد موعد للانسحاب.

من بين الجيوش التي يبلغ عديدها 36.000 والتي تم إرسالها من قبل 12 عضو و11 شريك من غير الحلفاء، فإن تلك التابعة للولايات المتحدة هي 12000 تابعة للناتو و 8000 تحت القيادة الأمريكية بنحوٍ كامل. لذا فحتى مع وجود تحالف بقيادة الناتو فإن أي بيان موجه ضد هذا التحالف من قبل الـ SCO سوف يؤثر سلباً على مصالح الولايات المتحدة.

أوزباكستان وK2

أوزباكستان تقدم شاهداً آخراً على أولويات الـ SCO في أفغانستان. ففي تشرين الأول، 2001، قام الرئيس إسلام كاريموف بمنح الولايات المتحدة الإذن باستخدام القاعدة الجوية كاراشي–كاناباد (K2) للقيام بعمليات القصف الجوي والتزود بالوقود في أفغانستان. إن استخدام k2 كان يحمل إشارات بأنه يمكن للولايات المتحدة أن تتخلى عن الاعتراضات حول الحقوق الإنسانية التي تم توجيهها سابقاً لنظام كاريموف. ولكن الانتقادات التي وجهتها الولايات المتحدة على عمليات القتل التي حصلت في آندجان عام 2005، تظاهرة شعبية حيث قامت السلطات الأوزبكية بإطلاق النار على مجموعة من المتظاهرين، أدى إلى منع كاريموف الولايات المتحدة من استخدام لـ K2.

العرض الأولي لاستخدام القاعدة الجوية والذي وقع بعد أربعة أشهر من دخول أوزباكستان في الـ SCO، أفسد العلاقات الأوزبكية–الروسية. استاءت روسيا من إنشاء قاعدة عسكرية أمريكية قريبة إلى هذا الحد من حدودها وداخل دولة سوفياتية سابقة. ولكن وبعد القيام بمنع الولايات المتحدة من استخدام هذه الإمكانيات في حزيران 2005، بعد أربع سنوات من كونها شريك في الـ SCO استعاد كاريموف وبوتين علاقتهما الحميمة. ومرة أخرى قامت الـ SCO بالتقدم بأجندة موسكو من خلال إخراج الولايات المتحدة من أوزباكستان.

الخلاصة

من المحتمل للتوتر السياسي القائم بين الولايات المتحدة الأمريكية والـ SCO أن يستمر نتيجة تمسك كل من الحزبين بمصالحه. وبالطبع إن رفض الـ SCO طلب الولايات المتحدة الأمريكية لتكون في موقع المراقب يظهر حدتها تجاه الولايات المتحدة الأمريكية. إن الحنين إلى وسط آسيا والسيطرة عليها الذي يتملك روسيا مضافاً إليه القلق من أي تواجد عسكري أمريكي على مسافات قريبة من حدودها يجعل منها لاعباً شرساً. هاجس الصين مع تايوان ولأن تحافظ على صورة "صين موحدة" يخلق مصدر لعدم الاستقرار في المستقبل. هذه التوترات مع ما يصاحبها من سعي الولايات المتحدة لامتلاك أنظمة دفاع صاروخية باليسيتية وتحالفها مع تايوان والحرب الحالية في أفغانستان يدعو لاهتمام دقيق في سياسات وتحركات الـ SCO. فقط في حال قامت روسيا، الصين والولايات المتحدة الأمريكية أو باقي الدول في الـ SCO بتحول إيديولوجي جذري أو حصل هناك انهيار داخلي يمكن للوضع أن يبقى على ما هو عليه. ومع غياب ذلك، فإن تصادم المصالح بين الولايات المتحدة والـ SCO سوف يبقى قائماً.